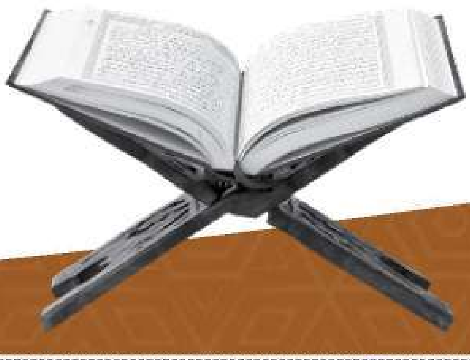
مجلة تدبر



الملة في القرآن الكريم، دراسة في المفهوم والأنواع

Mullah in the Holy Quran Objective study



أ. محمد أكرت بن عبد القادر

Mr. AGUERT MOHAMMED

طالب باحث في سلك الدكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان. المغرب

A research student in the PhD. Faculty of Arts and Humanities. Abdul Malik Al Saadi University. Tetouan. Morocco

قدم للنشر في: ٢٨-٣-١٤٤٣هـ الموافق ٣-١١-٢٠٢١م

قبل للنشر في: ٢٠-٦-١٤٤٣هـ الموافق: ٢٣-١-٢٠٢٢م

نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م

مدة التحكيم مع قبول النشر: (٨٠ يومًا).

متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (١٣٣ يومًا).

- من مواليد مدينة سلا بالمملكة المغربية.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بأطروحته: مفهوم ملة إبراهيم في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي.
- طالب في سلك الدكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان. المغرب.

بعض النتاج العلمي:

١- دراسة كتاب المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، لأبي النصر أحمد بن محمد السمرقندي.

٢- دراسة تحليلية لقاعدة عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وتليها قاعدة نفي الجناح دليل الإباحة.

٣- غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك؛ استعراض للأحداث واستخلاص للدروس والعبر.

البريد الشبكي: Email: aguert123.ma@gmail.com

المُستَخلَص

يتناول البحث موضوعًا مهمًّا في مصطلحات القرآن الكريم التي عليها يتوقف فهمه؛ باعتبار أن القرآن ألفاظ ومصطلحات ومعاني يجب الإحاطة بها علمًا وفهمًا؛ ليتحقق تدبر القرآن الكريم واستنباط أحكامه وحِكَمِه.

ويهدف البحث إلىٰ تحديد مفهوم مصطلح الملَّة في القرآن، وبيان أنواعها كما حددها وبينها القرآن الكريم، من خلال تتبع الآيات التي ورد فيها المصطلح، متَّبعًا في ذلك المنهج الاستقرائي من خلال تتبع الآيات الوارد فيها، والمعاجم التي عرَّفت بها، ومستخدمًا المنهج التحليلي لمحاولة تحليل هذه الآيات، والبحث في كلام العلماء وفهم وتحديد أنواع الملة.

وجاء البحث في مقدمة تحتوي علىٰ موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث، ومبحثين؛ أولهما: تناول تعريف الملَّة في اللغة وفي اصطلاح القرآن. أما الثاني: فتناول الحديث عن أنواع الملة، وتم تقسيمها إلىٰ ثلاثة أنواع؛ النوع الأول: وهي ملة الحق الإسلام. أما النوع الثاني: فملل أهل الكتاب. والنوع الثالث: فملل من لا كتاب لهم. ثم خاتمة تناولت نتائج البحث وآفاقه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الملة، المصطلح، التفسير.

mullah in language and in the term of the Qur'an, while the second dealt with the talk of the types of boredom and was divided into three types, the first type, which is the sect of the right of Islam, the second type is bored of the people of the Book, and the third type is bored of those who do not have a book. Then a conclusion addressed the results and prospects of the research.

Keywords: Qur'an, mullah, term, interpretation

Mullah in the Holy Quran Objective study

AGUERT MOHAMMED

A research student in the PhD. Faculty of Arts and Humanities.

Abdul Malik Al Saadi University. Tetouan. Morocco.

ABSTRACT

The research deals with delving into an important topic that concerns the terms of the Qur'an, on which it depends on its understanding, considering that the Qur'an has words, terms and meanings that must be taken note and understanding in order to achieve the management of the Qur'an and the inference of its provisions and judgments.

The research aims to define the concept of the term mullah in the Qur'an, and to indicate its types as defined by the Qur'an, by tracking the verses in which the term is mentioned, following that inductive approach by tracking the verses contained in the term mullah, and the dictionaries known to it, using the analytical method to try to analyze these verses and research the words of scholars and to understand and identify the types of boredom.

The research was presented in an introduction containing the subject of the research, its objectives, its approach, the research plan, and two researches, the first of which dealt with the definition of

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي خلق فسوَّىٰ، والذي قدَّر فهدىٰ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن فهم مراد الله تعالىٰ يقتضي أمرًا منهجيًا؛ وهو فقه القرآن الكريم والسنة النبوية. أي فهم مفاهيمهما وقضاياهما. وإنَّ من أخطر ما تواجهه الأمة اليوم هو انحراف الناس عن نهج القرآن الكريم والحديث الشريف ومقتضيات ألفاظهما. «ولو أن بني آدم أقاموا المصطلحات، وأتموا الكلمات، ولم يغيروا خلق الله، ودين الله، لما احتاجوا إلىٰ كل هؤلاء الرسل، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، لردِّهم إلىٰ الفطرة، بعد أن عبثوا بالأسماء»(١).

◆ أولاً: الهدف العام من البحث:

هذا البحث محاولة (لدراسة مفهوم الملَّة من خلال القرآن الكريم وتحديد أنواعها). وهو موضوع يُركِّز بالأساس علىٰ دراسة مصطلح الملة من خلال القرآن الكريم؛ بهدف الكشف عن معناه وتحديد أنواعه.

◆ ثالثًا: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في تحديد مفهوم الملّة في القرآن الكريم وبيان أنواعها كما حددها القرآن الكريم.

---

(١) قول في المصطلح، د. الشاهد البوشيخي، ضمن مجلة: دراسات مصطلحية، العدد الأول ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م، (ص: ٥).

رابعًا: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلىٰ:

-تحديد مفهوم الملة في القرآن الكريم.

-تحديد أنواع الملل التي ذكرها القرآن الكريم.

-إبراز خصائص ملة إبراهيم باعتبارها الملة الحق.

-الكشف خصائص القرآن في حديثه عن الملل الباطلة.

خامسًا: أهمية الموضوع:

تتضح أهمية الموضوع من خلال:

- ارتباطه بكتاب الله ﷻ، والمساهمة في خدمته وتجلية مفاهيمه.

-حديث القرآن المجيد عن الملة وبالخصوص ملة إبراهيم عليه السلام، وأمره تعالىٰ باتباعها يستدعي الاهتمام بهذا المصطلح.

-الحاجة إلىٰ دراسة علمية تقوم علىٰ منهج الدراسة المصطلحية، تُجلّي حقيقة المصطلحات القرآنية وتبيّن مفهومها ودلالاتها كما هي عليه في القرآن الكريم.

-الفهم السليم لألفاظ القرآن المجيد هو السبيل لفهم كلام الله ﷻ والذي يعد المدخل الأساسي لصلاح العمل وسلامته.

سادسًا: الدراسات السابقة:

بذل العلماء جهودًا نفيسة في دراسة مفهوم الملَّة، أبرزها:

جهود المفسرين والمحدِّثين في بيان المراد من لفظ الملَّة في مختلف الآيات والأحاديث، إلا أنها تفتقر إلىٰ دراسة تجمع ما تفرق منها، واستخلاص مفهوم جامع للمصطلح.

جهود المعجميين؛ اللُّغويِّين والاصطلاحيين، كابن فارس في مقاييس اللغة، والراغب في مفرداته، وابن الأثير في نهاية الحديث وغيرها، وهي جهود نفيسة مباركة، لكنها في حاجة إلىٰ المزيد من الإحاطة التامة لمادة (ملل)، والتعرض إلىٰ صفات المصطلح وعلاقاته وضمائمه وقضاياه...

جهود الأصوليين في بيان حقيقة الملة، لكنهم درسوها في قضية واحدة وهي: هل الملَّة تختص بأصول الدِّين أم بالأصول والفروع؟ عند مناقشتهم لمسألة: هل كان النبي ﷺ متعبِّدا بشرع مَن قبله أم لا؟ وهو لا يعدو أن يكون جزءًا من محدَّدات الملة.

بالنسبة للفقهاء تناولوا الحديث عن الملة في بعض أبواب الفقه، كالتوارث بين أهل ملَّتين، وأحكام المرتد، وصيد المجوسي وذبيحته...وغير ذلك، لكن دراستهم اقتصرت علىٰ قضايا فقهية محددة. لا تكشف جوانب مهمة من مفهوم الملة.

ونظرًا لأن الهدف من الدراسة الكشف والوصف، فقد كان لزامًا اتِّباع منهج خاص، وهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم علىٰ الاستقراء فالتحليل ثم التركيب.

سابعًا: خطة البحث:

من مجموع ما اقتضاه المنهج وأسفر عنه؛ تكوَّن المحتوىٰ من:

-مقدمة تحتوي علىٰ موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث.

-مبحثين، فالأول: تناول تعريف الملَّة في اللغة وفي اصطلاح القرآن، وتحته مطلبين، الأول: لأصل مادة (ملل)، والثاني: الملَّة في القرآن الكريم. أما المبحث الثاني: فتناول الحديث عن أنواع الملَّة وتحته ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: ملة الحق الإسلام. والثاني: ملل أهل الكتاب. أما الثالث: فملل من لا كتاب لهم.

-الخاتمة: تناولت نتائج البحث وآفاقه.

-ثم فهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

المبحث الأول:

مفهوم الملَّة في القرآن الكريم

المطلب الأول:

أصل مادة (ملل)

أما أصل المادة فذكر ابن فارس[١] أنها تدور علىٰ أصلين صحيحين: «يدل أحدهما علىٰ تقليب شيء، والآخر علىٰ غرض من الشيء.

فالأول مَلَلْتُ الخبزة في النار أَمُلُّهَا مَلًّا، وذلك تقليبك إياها فيها. وَالملَّة: الرماد أو التراب الحار.

ويقال: أَطْعَمَنَا خُبْزَ مَلَّةٍ وَخُبْزَةً مَلِيلًا. وَالْمُلْمُولُ: الْمِيلُ: لأنه يقلب في العين عند الكحل. ومن الباب طريق مُمَلٌّ: سُلِك حتىٰ صار مَعْلَمًا. قال:

رَفَعْنَاهَا ذَمِيلًا فِي مُمَلٍّ مُعْمَلٍ لَحْبِ

وَالْمَلِيلَةُ: حمىٰ في العظام: كأنها تُقَلِّبُ. وبات يتململ علىٰ فراشه، أي يقلق ويتضوَّر عليه، حتىٰ كأنه علىٰ مَلَّةٍ، والأصل يَتَمَلَّلُ. ومن الباب امتلَّ يعدو، وذلك إذا أسرع بعض الإسراع.

والباب الآخر مَلِلْتُهُ أَمَلُّهُ مَلَلًا وَمَلَالَةً: سئمته. وأمللت القوم: شَقَقت عليهم حتىٰ مَلُّوا، وكذا أمللت عليهم»[٢].

(١) بدأت بذكر ما قاله ابن فارس، ثم تحليله، لتوسعه في بيان أصل المادة.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٦).

وبناء علىٰ كون أصل ما تركب من (م ل ل) الالتزام المتكرر، فإن الملَّة في اللغة هي: الطريقة المُتَّبَعَة والمُلتزَم بها زمنا ممتدًّا.

من خلال التعريف اللغوي للملَّة، يلاحظ أنَّ المعنىٰ يشمل ركنين أساسيين هما: الطريقة والإتَّباع.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار عدد من أئمة اللغة.

قال الخليل: «ومِلَّةُ رسول الله ﷺ: الأمرُ الذي أوضحه للناس»(١). فما أوضحه رسول الله ﷺ للناس يلزم إتباعه وملازمته وليحصل الانتفاع بذلك في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

قال ابن عاشور: «والاتباع: اقتفاء السير علىٰ سَير آخر. وهو هنا مستعار للعمل بمثل عمل الآخر»(٢). أي اقتد بسيرته وطريقته التي داوم عليها وكررها من الإقرار بتوحيد الله تعالىٰ، وتنزيهه عما لا يليق به فكانت طريقة مسلوكة، وسُنة له ولأتباعه، أمر بها بنيه من بعده وأوصاهم بها وتناقلوها جيلًا بعد جيل.

وقال الأزهري: «قَالَ أَبُو إِسْحَاق (٣): المِلّة، فِي اللُّغَة: سُنَّتهم وطريقتهم»(٤).

(١) العين/ باب اللام والميم ل م، م ل مستعملان.

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٣١٨).

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفىٰ: ٣١١هـ). في كتابه: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٢).

(٤) تهذيب اللغة / باب اللام والميم.

المطلب الثاني:
الملّة في القرآن الكريم

وردت مادة (ملل) في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعًا، منها خمسة عشر موضعًا بلفظ الملّة، والباقي موزع علىٰ اشتقاقين اثنين، هما: الإِمْلَالُ والمَلِيُّ.

ففي السور المكية وردت مادة (ملل) ثلاث عشرة مرة في عشر سور، مرتبة وفق ترتيب النزول كالتالي:

السورة	رقمها	الآيــــــة	رقمها
القلم	٢	﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾	٤٥
ص	٣٧	﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾	٧
الأعراف	٣٨	﴿۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾	٨٨
الأعراف	٣٨	﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَا﴾	٨٩
الأعراف	٣٨	﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣
الفرقان	٤١	﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلٗا﴾	٥
مريم	٤٣	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾	٤٦

السورة	رقمها	الآيــــة	رقمها
يوسف	٥٢	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٣٧
يوسف	٥٢	﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٣٨
الأنعام	٥٤	﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٦١
الكهف	٦٨	﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾	٢٠
النحل	٦٩	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٣
إبراهيم	٧١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾	١٣

أما في السور المدنية، فقد وردت مادة (ملل) خمس عشرة مرة في ستِّ سور كالآتي:

السورة	رقمها	الآيــــة	رقمها
البقرة	١	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠
البقرة	١	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾	١٣٠
البقرة	١	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥
البقرة	١	﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾	٢٨٢
البقرة	١	﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾	٢٨٢

السورة	رقمها	الآيـــــة	رقمها
آل عمران	٣	﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٩٥
آل عمران	٣	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	١٧٨
النساء	٦	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥
الحج	١٨	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٧٨
الحج	١٨	﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	٤٤
الحج	١٨	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾	٤٨
محمد	٩٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾	٢٥
الرعد	٩٥	﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾	٣٢

الملاحظ أنَّ حضور مصطلح الملّة علىٰ مستوىٰ الجذر في القرآن الكريم معتبر، خصوصًا إذا قارنّاه بمصطلحات ذات أهمية في الإسلام، كمصطلح الحج الذي ورد في القرآن الكريم سبعة عشر مرة، والصيام الذي ورد أربعة عشر مرة.

ولا شك أن هذا الحضور يدلُّ علىٰ كونه حاملًا لمفهوم أساسي في حياة الأمة.

مادة (ملل) كان ورود أحد مشتقاتها وهو الإملال في سورة القلم في قوله ﷻ:

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٥]، وهي السورة الثانية من حيث ترتيب النزول، لكن ورود مصطلح الملة أول مرة بالمعنىٰ الاصطلاحي كان في سورة (ص)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]، فالمشركون عجبوا من دعوة رسول الله ﷺ المتمثلة في التوحيد وعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهو أمر لم يعتادوا عليه ولم يسمعوا به من قبل، ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٤-٥]، وحتىٰ النصارىٰ الذين كانوا في مكة يجعلون مع الله إلهًا آخر، لذلك قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]، فكان ورود المصطلح مرتبطًا بما اعتاده الناس ولازموه من أمور الاعتقاد والعبادة.

من خلال ما سبق نخلص إلىٰ أن الملَّة هي مجموع العقائد والمبادئ والأعمال والعادات الكبرىٰ، سواء كانت حقًّا أم باطلًا، تتلقاها طائفة من الناس ويدأبون علىٰ التزامها والعمل بها حتىٰ تكون طريقة لهم في «إقامة معاشهم والاستعداد لمعادهم»[(١)].

وقريب من هذا التعريف ما ذكره الطاهر بن عاشور في تفسيره حيث عرَّف الملَّة بقوله: «وَالملَّة بِكَسْرِ الْمِيمِ الدِّينُ وَالشَّرِيعَةُ، وَهِيَ مَجْمُوعُ عَقَائِدَ وَأَعْمَالٍ يَلْتَزِمُهَا طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ يَتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَتَكُونُ جَامِعَةً لَهُمْ كَطَرِيقَةٍ يَتَّبِعُونَهَا»[(٢)].

لكن ما يلاحظ علىٰ التعريف هو خلوُّه من الإشارة إلىٰ مبدأ التَّلقِّي الذي يُعَدُّ عنصرًا مُميِّزًا للملَّة، كما خلا التعريف من بيان أنواع الملَّة، ولم يتحدث عن مقصدها.

(١) (إقامة معاشهم والاستعداد لمعادهم) مقتبس من كتاب: الملل والنحل؛ للشهرستاني.

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٣).

المبحث الثاني:

أنواع المِلّة في القرآن الكريم

نبه القرآن الكريم على أنواع الملل، وأشار النبي الكريم ﷺ إليها كذلك [(١)].

وقد امتلأت كتب التفسير وغيرها بالحديث على هذه الأنواع [(٢)]، حتى قال الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي أن ثلث القرآن بالتقريب يشتمل على قصص الأديان الأخرى مثل اليهودية، والنصرانية، والمجوسية[(٣)].

وقد ذكر القرآن الكريم ستة أديان في آية واحدة، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧].

---

(١) كما في قوله تعالى في الآية ٣٧ من سورة يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ٣٧- ٣٨]. وقول الرسول ﷺ: «افترقَتِ اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتَفترِقُ أمّتي على ثلاث وسبعين فرقةً». رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. أول كتاب السنة، باب: شرح السنة.

(٢) ومن المؤلفات التي اهتمت ببيان أنواع الملل الكتب التي اهتمت بالأديان والفرق، كالملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٧) وما بعدها. ومن الكتب المعاصرة: الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار (ص:١١٤) وما بعدها.

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص:١٦).

ومن خلال النظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يمكن تقسيم الملَّة إلىٰ نوعين رئيسين:

النوع الأول: ملَّة الحق وهي ملَّة الإسلام.

والثاني: الملل الباطلة وهي ملل الكفر.

أما علىٰ التفصيل فيمكن تقسيم ملل الكفر إلىٰ: ملل اليهود وملل النصارىٰ وملل من لا كتاب لهم كمشركي العرب، فتحصَّل من مجموع ذلك أربعة أنواع من الملل؛ ملة الإسلام قسم، وملل الباطل أقسام[(١)].

---

(١) (فمن ذلك أن الله ﷻ قد حصر الأديان التي عليها الناس في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]. فأديان البشر لا تخرج عن واحد من هذه، وهي: الإسلام، واليهودية، والصابئة، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية). موسوعة الملل والأديان، لمجموعة من الباحثين (١/ ٨).

المطلب الأول:
ملّة الحق الإسلام

الفرع الأول: ظهور ملَّة الحق.

كان أبونا آدم عليه السلام علىٰ ملة الإسلام، مؤمنًا وموحدًا، ونبيًّا مُكلَّمًا. فالقرآن الكريم يتحدث أن آدم عليه السلام تاب إلىٰ الله، فتاب الله عليه وعلىٰ زوجه، والتوبة لا تُقبل إلا من موحد مؤمن.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

وفي الحديث عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ»»[١].

فكانت البشرية من عهد آدم عليه السلام إلىٰ نوح -وهم عشرة قرون- علىٰ الملَّة الحق ملَّة الإسلام، ثم طرأت ملَّة الشرك في قوم نوح بوحي من الشيطان.

إذن فالأصل في حياة البشر هو التوحيد لأنه الفطرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، وفي الحديث القدسي: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ...»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَهُوَ عَلَىٰ الملَّة. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي**

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، باب بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، برقم (٣٠٣٩)، وقال: (صحيح علىٰ شرط مسلم)، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

بَكْرٍ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ: إِلاَّ عَلَىٰ هَذِهِ المِلَّة حَتَّىٰ يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ. وَفِىٰ رِوَايَةِ أَبِىٰ كُرَيْبٍ عَنْ أَبِىٰ مُعَاوِيَةَ: لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ حَتَّىٰ يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ»[(١)].

ومن هنا يظهر خطأ بعض الباحثين الذين ذهبوا إلىٰ «أن العقيدة الدينية مرت بمراحل ثلاث، جعلوا أولاها: مرحلة التعدد الذي تتعدد فيه الآلهة والأرباب، ثم أعقبتها: مرحلة التفكير والموازنة وإعمال الفكر في نسبة الأرباب بعضها من بعض لاختيار ما يعتقد أنه الرئيس أو الزعيم أو الإله الذي يكبر غيره، وهي: مرحلة تعدد أيضًا، ثم يقولون: إن المرحلة الأخيرة هي مرحلة الوحدانية»[(٢)].

فجعلوا الشرك هو الأصل والتوحيد طارئ، وهو كلام يخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فأول ملَّة ظهرت هي ملة الحق، ملة الإسلام. وهي التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له.

◆ الفرع الثاني: ملة الحق هي الإسلام.

إن الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله للبشرية، ولم ولن يقبل سواه، قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهو دين جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال ﷻ: ﴿۞ شَرَعَ

(١) أخرجه مسلم. كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٦٥٨).

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (١/ ٦٣).

لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى:١٣-١٤].

فهذا نوح عليه السلام أول الرسل يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، ويحكي القرآن عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]، ويدعو يوسف عليه السلام ربه فيقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، ويقول موسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وعن عيسىٰ يحكي القرآن قوله: ﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]

ويوجز القرآن الكريم ملّة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

فالإسلام دين كل الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم، قائم علىٰ الخضوع والاستسلام لله عز وجل، وإفراده بالعبودية، ونفي الشريك عنه والصاحبة والولد، وهذا هو مفهوم الإسلام لدىٰ الأنبياء وأتباعهم ومخالفيهم.

كما حكىٰ الله عز وجل عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

فدين الإسلام هو الدين القيِّم، وهو الصراط المستقيم، وهو الملّة الحق،

كما قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

الفرع الثالث: ملة الحق واحدة.

شَكَّلت ملَّة الحق صراطًا مستقيمًا واحدًا متصلًا بين جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفي جميع الرسالات. فحينما نتحدث عن الملة، فنحن نتحدث عن الكليات الأساسية في الدِّين، ومحاوره العامة وعناوينه الكبرىٰ والتي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تقبل النسخ في جميع الرسالات.

لأن الرسالات السماوية يجمعها أنها صادرة ومنزّلة من جهة واحدة، من الله ﷻ، وموجهة إلىٰ جهة واحدة هي الإنسان، ولهدف واحد، هو هداية الإنسان.

فإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن تكون هناك أشياء كثيرة يشترك فيها الناس، ويتساوون فيها، لأن الإنسان هو الإنسان من آدم إلىٰ آخر ولد آدم.

علىٰ هذا الأساس، تنزلت الكتب والشرائع، جامعة بين الاتحاد والتعدد، بين الائتلاف والاختلاف، بين الثبات والتغير[(١)].

ومن جملة محاور ملَّة الحق التي اتفقت فيها جميع الرسالات أستعرض النماذج التالية[(٢)]:

---

(١) انظر: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الدكتور أحمد الريسوني (ص:١٠١-١٠٢).

(٢) للاطلاع علىٰ مزيد من الأمثلة، انظر المصدر السابق، فقد قام الدكتور الريسوني باستقراء النماذج من القرآن الكريم وصنفها إلىٰ الكليات العقدية، والكليات المقاصدية، والكليات الخُلُقية، والكليات التشريعية (ص:٦٩-١٢٣).

أ-الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده.

جوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، ونبذ الشريك عنه وما يُعبد من دونه.

فقد أرسل الله جميع الرسل بهذه المهمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]

وهي وصية الأنبياء لمن بعدهم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]

ب- مسائل الإيمان وأصوله.

فأمور الإيمان والاعتقاد من مسلمات الدِّين، قال الله ﷻ: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن لم يؤمن بهذه الأصول فقد ضل ضلالًا بعيدًا، قال الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وشكَّلت هذه الأصول أساسًا واحدًا لدىٰ جميع الرسل وأتباعهم، ومن ذلك تذكير نوح عليه السلام لقومه بالبعث والنشور، فقال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:١٧-١٨].

وتظهر أيضًا في دعوة إبراهيم عليه السلام الذي قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وفي دعوة يوسف عليه السلام إذ قال لصاحبيه: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

والدعوة إلىٰ الإيمان بالبعث دعوة للإيمان بجميع أركان الإيمان بالتلازم.

ج-القواعد العامة.

ومن هذه القواعد:

-حفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. «وهي كليات، لأن كل واحد منها يجمع ما لا يحصي ويستتبع ما لا يحصي من الجزئيات، فحينما نقول: حفظ الدين، أو حفظ النفس، أو حفظ المال...، فنحن نعني تلقائيًا آلاف الأحكام الجزئية المنصوصة صراحة أو ضمنًا، وآلافًا أخرىٰ يتعين القول بها استنباطًا واجتهادًا واستصلاحًا»(١).

وهي كليات معتبرة في ملة الإسلام في كل الأزمان. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ متحدثًا عن هذه الضروريات والتي سماها أصولًا: «وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٥٠).

الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر»(١).

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة»(٢)، وبعد أن ذكر الأقسام الثلاثة للمصالح، وهي قسم الضروريات، وقسم الحاجيات، وقسم التحسينات، قال: «المقصود الأعظم في المطالب الثلاثة المحافظة على الأول منها، وهي قسم الضروريات، ومن هنالك كان مراعىٰ في كل ملة، بحيث لم تختلف فيه الملل كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين وقواعد الشريعة وكليات الملة»(٣).

-من القواعد أيضًا أن الفلاح الحقيقي يتحقق بتزكية النفس بمنهج الله والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل. «فتزكية الإنسان نفسه، وإيثار الآخرة لأنها خير وأبقىٰ، هما من المقاصد العليا ومن الثوابت المشتركة بين الكتب المنزلة»(٤).

قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤ - ١٩].

-«أن الإنسان محاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره»(٥).

(١) المستصفىٰ، للغزالي (ص: ١٧٤).

(٢) الموافقات، للشاطبي (٢/ ٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٣).

(٤) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٤٨).

(٥) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر (ص:٢٨٤).

قال ﷻ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم:٣٦-٤١].

-ومن القواعد أيضًا إقامة ميزان العدل والقسط، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

-ومنها كذلك فعل الخيرات وإقامة أصول العبادة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والأمر بالجهاد والمجاهدة، ونفي الحرج.

كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

«هذه الملَّة بمبادئها الكلية المذكورة، ليست جديدة ولا خاصة بالرسالة المحمدية وأتباعها، بل هي ملة أبينا إبراهيم، وطبعًا هي ملة جميع الرسل»[(١)].

ومما اتفقت عليه الرسالات أيضا: «أنها بينت المنكر والباطل، ودعت إلىٰ محاربته وإزالته، سواء أكان عبادة أوثان، أو استعلاء في الأرض، أو انحرافًا عن الفطرة كفعل قوم لوط، أو عدوانًا علىٰ البشر وأحوالهم بقطع الطريق والتطفيف بالميزان»[(٢)].

فاتضح مما سبق أن ملة الحق واحدة، لا تتبدل ولا تتغير بين الرسل والرسالات؛ لأنها متعلقة بمحاور الدين الأساسية وعناوينه الكبرىٰ.

---

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٤٩).

(٢) الرسل والرسالات (ص:٢٤٩).

◆ الفرع الرابع: ملة الحق هي ملة إبراهيم.

إن الملَّة في القرآن الكريم ما وردت بمعناها الحق إلا مضافة إلىٰ إبراهيم عليه السلام. وقد أمر الله عز وجل باتباعها في جملة من الآيات.

فقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

وبين أنها أحسن الدِّين في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

وأكد أنها الهدىٰ ولا هدىٰ في غيرها في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

فلا حرج فيها ولا مشقة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

وحذر سبحانه وتعالى من مخالفتها فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

فكان إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا، وملته هي الملَّة الحق، لأنها هي الإسلام الذي رضيه الله للبشرية دينًا.

كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا

﴿لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٧].

قال الإمام القرطبي: «وسُمِّيَ إبراهيم حنيفًا؛ لأنه حَنِف -أي مال- إلىٰ دين الله، وهو الإسلام»[(١)].

وقال ابن عطية: «أخبر الله تعالىٰ في هذه الآية، عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفىٰ عنه اليهودية والنصرانية والإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية، وجاء ترتيب النفي علىٰ غاية الفصاحة، نفىٰ نفس الملل وقرر الحالة الحسنة، ثم نفىٰ نفيًا بيَّن به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هو الشرك»[(٢)].

وقال الطاهر بن عاشور: «وقد تقدم في سورة البقرة في مواضع أن إبراهيم سأل أن يكون مسلمًا، وأن الله أمره أن يكون مسلمًا، وأنه كان حنيفًا، وأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الذي جاء به إبراهيم، ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وكل ذلك لا يُبقِي شكًّا في أن الإسلام هو إسلام إبراهيم»[(٣)].

فيتضح مما سبق أن إبراهيم عليه السلام ما كان يهوديًّا ولا نصرانيًّا، فنفىٰ الله عز وجل عنه كل شرك[(٤)]، وأثبت له أنه كان مائلاً عن كل باطل، منقادًا مستسلمًا لله.

دعا الله أن يكون مسلمًا فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٩).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٤٥١).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٧٥).

(٤) تعريض باليهود والنصارىٰ بأنهم مشركون، لإشراكهم بالله عز وجل عزيرًا والمسيح وردٌّ لادعاء مشركي العرب أنهم علىٰ ملَّة إبراهيم عليه السلام.

لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

واستجاب لأمر الله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]، وانقاد لله سبحانه وتعالى وحده بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، وأخلص عمله لله عز وجل ولم يكن من المشركين.

إن ملَّة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، وهي الحنيفية، دين التوحيد والاستسلام لله عز وجل والخضوع له بالعبادة، ونبذ الشرك والكفر وكل ما يعبد من دون الله، وهذا هو دين الأنبياء جميعهم، واعتقاد الرسل كلهم.

المطلب الثاني:
ملل أهل الكتاب

الفرع الأول: ظهور الملل الباطلة.

سبقت الإشارة من قبل إلىٰ أن الأصل هو التوحيد، فكانت البشرية من آدم إلىٰ نوح عليه السلام علىٰ الإسلام.

ثم حدث أن انتكست البشرية عن الفطرة، ووقع الناس في الشرك بالله عز وجل وحدث ذلك في قوم نوح عليه السلام بكيد من الشيطان، حيث استدرجهم لأن ينصبوا تماثيل لرجال صالحين، وهم: ودٌّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، حتىٰ يتذكروا ما كانوا عليه من العبادة فيقتدوا بهم.

فلما طال عليهم الأمد وتعاقبت الأجيال اللاحقة، قال الشيطان لهم: إن آباءكم ما نحتوا تلك التماثيل إلا لعبادتها، فلا تضلوا عن طريقهم ونهجهم، فاستجابوا لدعوته، وعبدوا الأصنام، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

فبعث الله نوحًا عليه السلام، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلىٰ الإسلام، وتوحيد الله عز وجل ونبذ الشرك، فما آمن معه إلا قليل. قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠].

ولما أيس منهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ

ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ٥ - ٩].

وأيضًا: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ [نوح: ٢١ - ٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن ودٍّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم، أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت»(١).

فكانت تلك أول ملَّة طرأت، ثم تتابعت ملل الباطل التي جعلت الشرك بالله دينًا واتخذت أندادًا من دون الله.

فأرسل الله لهم الرسل يبلغونهم رسالات الله، قال جل وعلا: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٩].

فصدوا عن سبيل الله وتوَعَّدوا رسل الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

ويقال إن الأصنام التي عَبَدَها قوم نوح، انتقلت إلىٰ العرب بواسطة «عمرو بن لُحَيٍّ الخُزَاعيِّ»، الذي غيَّر دين إبراهيم من الحنيفية إلىٰ عبادة الأصنام(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، برقم (٤٩٢٠).

(٢) ذكر ابن كثير رحمه الله: أن عمرو بن لحي الخزاعي كان من خزاعة وكان من سادات مكة والعرب، وأنه أول =

وأخبر رسول الله ﷺ عنه في الحديث بقوله: «رَأَيْتُ عَمْرو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[(١)].

وعن قتادة قال: «كان ودٌّ لهذا الحيِّ من كَلْب بدومة الجَندل، وكانت سُواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني غُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبَأ، وكان يعوق لهمدان ببلخع، وكان نسر لذي كلاع من حِمْير»[(٢)].

◆ الفرع الثاني: حصر الملل الباطلة.

هل الكفر ملَّة واحدة أو ملل متعددة؟ اختلف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه المسألة.

١-فذهب المالكية والحنابلة في قول إلىٰ أن الكفر ملل متعددة[(٣)]، أخذاً بظاهر قول الرسول ﷺ: «**لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّىٰ**»[(٤)].

= من غير دين إبراهيم الحنيفية والذي كان يقوم علىٰ توحيد الله، حيث أنه أدخل الأصنام لتعبد من دون الله بالجزيرة العربية. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٨٥) وما بعدها.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، برقم (٣٥٢١). وراه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥٦). كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروىٰ ابن هشام في سيرته: «أن رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ: يَا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ: فَقَالَ أَكْثَمُ: عَسَىٰ أَنْ يَضُرَّنِي شَبَهُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ، وَحَمَىٰ الْحَامِي». سيرة ابن هشام (١/ ٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٩).

(٣) انظر: حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير (٤/ ٤٨٦)، وتفسير القرطبي (٢/ ٩٤).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر؟ برقم (٢٩١١).

وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فميم الجمع في كلمة (ملتهم) تدل على الكثرة، أي تدل على تعدد ملل الكفر، كما قال القرطبي: «فالمراد به الكثرة وإن كانت موحدة في اللفظ، بدليل إضافتها إلى ضمير الكثرة، كما تقول: أخذت عن علماء أهل المدينة -مثلًا- علمهم، وسمعت عليهم حديثهم، يعني علومهم وأحاديثهم»(١).

وقال ابن قدامة في المغني: «ولم نسمع عن أحمد تصريحًا بذكر أقسام الملل... ويحتمل كلام أحمد رضي الله عنه أن يكون الكفر مللًا كثيرة، فتكون المجوسية ملّة، وعبادة الأوثان ملّة أخرى، وعبادة الشمس ملّة، فلا يرث بعضهم بعضًا. روي ذلك عن علي. وبه قال الزهري، وربيعة وطائفة من أهل المدينة، وأهل البصرة، وإسحاق وهو أصح الأقوال إن شاء الله»(٢).

٢-أن الكفر ثلاث ملل، فاليهودية ملّة، والنصرانية ملّة، وبقية الكفر ملّة، لأنهم يجمعهم أنه لا كتاب لهم، وهو القول الثاني للمالكية والحنابلة. قال ابن قدامة: «وقال القاضي أبو يعلى: الكفر ثلاث ملل: اليهودية، والنصرانية، ودين من عداهم؛ لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم. وهذا قول شريح، وعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والحكم. والثوري، والليث، وشريك، ومغيرة الضبي، وابن أبي ليلى، والحسن بن صالح، ووكيع. وروي ذلك عن مالك»(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٩٤).

(٢) المغني، لابن قدامة (٦/ ٣٦٨).

(٣) المغني، لابن قدامة (٦/ ٣٦٨).

٣- ذهب الحنفية والشافعية، أن الكفر كله ملَّة واحدة، بدليل الآية السابقة من سورة البقرة، حيث قال الإمام القرطبي: «﴿مِلَّتَهُمْ﴾ فوحَّد الملَّة، وبقوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وبقوله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملَّتين»، علىٰ أن المراد به الإسلام والكفر، بدليل قوله ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر»[(١)]»[(٢)].

وقال الإمام الكفوي: «وَالْكفْر: مِلَّة وَاحِدَة لِأَن شَرِيعَة مُحَمَّد هِيَ الْحق بِلَا شكّ وَالنَّاس بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا فرقتان: فرقة تقر بهَا وهم الْمُؤْمِنُونَ قاطبة، وَفرْقَة تنكر بأجمعهم وهم الْكفَّار كَافَّة، فَبِهَذَا الِاعْتِبَار كالملَّة الْوَاحِدَة، وَإِن اخْتلفُوا فِيمَا بَينهم»[(٣)].

والذي يظهر والله أعلم أن ملل الكفر من حيث منابذتها لملَّة الحق فهي واحدة، حيث اتفقت جميعها علىٰ مجانبة الصواب وترك الهدىٰ الذي أنزله الله فكانت واحدة من هذا الجانب، لأن الملَّة إما أن تكون حقًّا أو باطلًا، لا قسيم ثالث.

وهذه المسألة مبسوطة في كتب الفقه[(٤)]، وتتبين ثمرتها في مجموعة من أبواب الفقه كمسألة التوارث، والشهادة، والولاية في الزواج.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، برقم (٦٧٦٤). ومسلم في كتاب الفرائض، باب أول الكتاب، برقم (١٦١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٩٤).

(٣) الكليات (ص:٧٦٣).

(٤) انظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر، رد المحتار علىٰ الدر المختار لابن عابدين الحنفي الدمشقي (٣/ ١٨٨)، (٤/ ٢٢٥). ومختصر العلامة خليل المالكي المصري (ص:٢٦٣). وكتاب الأم، للإمام الشافعي (٤/ ١٩٤)، (٦/ ٤٩). وكتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي (١٨/ ٢٧٤)، (٢٠/ ١٩٦).

◆ الفرع الثالث: الملل اليهودية.

١-تعريف اليهودية.

اليهودية في اللغة من هاد الرجل أي: رجع وتاب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي تُبْنَا[١].

واليهودية: «هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي[٢] أرسل الله إليهم موسىٰ عليه السلام مؤيدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًّا»[٣].

٢-سبب تسميتها.

تعددت آراء العلماء حول تسمية اليهودية بهذا الإسم، فقيل:

١-نسبة إلىٰ «يهوذا» وهو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، وأبدلت الذال المعجمة دالًا مهملة؛ لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلىٰ لغتهم غيروا بعض حروفها[٤].

٢- سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. والهود في اللغة العربية، «التوبة، هاد يهود هودًا، تاب ورجع إلىٰ الحق فهو هائد»[٥].

---

(١) انظر: المفردات، للراغب / مادة هَوْد، والملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ١٥).

(٢) هكذا مثبتة في المطبوع، ولعلها الذين التي تعود علىٰ بني إسرائيل.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٤٩٥).

(٤) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، د. السيد محمد الطنطاوي (ص:١٣). والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل (ص:١٨).

(٥) لسان العرب / مادة هود.

٣- سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[١].

والملاحظ في القرآن الكريم، أنه يسميهم ب (بني إسرائيل)، كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. نسبة إلىٰ إسرائيل وهو لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وبنو إسرائيل هم ذريته.

وحينًا يسميهم: (الذين هادوا)، و(اليهود) لأنهم تسموا (باليهود) في عصورهم المتأخرة.

وفي السنة النبوية كذلك نجد تسميتهم ب (بني إسرائيل)، و(اليهود) أيضًا. فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي...**»[٢] الحديث، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٣].

فهم بنو إسرائيل إشارة إلىٰ اسمهم ونسبهم وتاريخهم القديم زمن موسىٰ عليه السلام وبعده بعدة قرون، وهم اليهود إشارة إلىٰ اسمهم المتأخر، خاصة بعد ظهور عيسىٰ عليه السلام، وتميزهم عن أتباعه (النصارىٰ)، ولذلك إذا جاء ذكرهم مع النصارىٰ سموا: (أهل الكتاب) إشارة إلىٰ أن الله تعالىٰ أنزل إليهم (أي اليهود والنصارىٰ) كتابًا من السماء، هو التوراة أولًا (علىٰ موسىٰ)، ثم الإنجيل ثانيًا (علىٰ عيسىٰ) عليهما السلام[٤].

---

(١) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص:١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إذا هدم حائطًا فليبنِ مثله، برقم (٢٤٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، برقم (٤٣٧).

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:١٨-١٩).

٣-أصل الملَّة اليهودية.

كانت عقيدة اليهود هي التوحيد والإيمان الصحيح، ودينهم هو الإسلام قبل أن يحرفوه. وقد تم الحديث سابقًا أن الدِّين الذي أنزله الله ورضيه لعباده هو الإسلام(١)، وحتىٰ موسىٰ عليه السلام الذي يزعم اليهود أنه نبيهم وأنهم متبعون له، كان مسلمًا، وأخبر القرآن عنه في خطابه لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالتوراة حكم للذين أسلموا من الأنبياء.

لكن ما حدث أن اليهود (بني إسرائيل) حرفوا دين الإسلام وما جاء به موسىٰ عليه السلام من ربه، وهذا الانحراف ظهر في عهد موسىٰ عليه السلام.

فقالوا له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

وعصوا الله ورسوله وعبدوا العجل من دون الله: ﴿۞وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٢، ٩٣].

وبعد موت موسىٰ عليه السلام حرفوا وبدلوا التوراة، فقالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

ثم قالوا أكبر من ذلك، فقالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، «وحرفوا

(١) انظر: المطلب الثاني من المبحث السابق (ص:٧).

نصوص التوراة، وقدسوا آراء أحبارهم المتمثلة بما يسمىٰ عندهم (بالتلمود)، وهو شروح واجتهادات علمائهم الذين أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال بأهوائهم»[(١)]. فقال الله ﷻ في شأنهم وشأن النصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

ولبثوا علىٰ حالهم هذه حتىٰ جاء الإسلام، وبُعث رسول الله ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك كذبوه وآذوه واستهزؤوا به، وكادوا للإسلام والمسلمين.

٤-ملل اليهودية.

تفرقت كلمة اليهود وتشتت شملهم بفعل اضطهاد اليونان لهم الذين أرغموهم علىٰ عبادة الآلهة اليونانية، فمنهم من قبل الدعوة اليونانية، ومنهم من بقي علىٰ التعاليم اليهودية، فتفرقوا إلىٰ عدة ملل. وأشهرها [(٢)]:

الفريسيون: أي المتشددون، أو شاسديم: أي الانقياد. يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، وقد شبههم الكُتّاب المسيحيون بالمعتزلة من الفرق الإسلامية. تؤمن هذه الفرقة بالبعث، وقيام الأموات، والملائكة، والعالم الآخر.

الصدوقيون: وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة قتلوا فيها الرومان، وكذلك

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٢٠).

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الدين الرازي (ص: ٨٢-٨٣). دراسات في اليهودية والمسيحية (ص:٢١٧-٢٢٩). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٩٩-٥٠٠).

كلَّ من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فأطلق عليهم اسم السفَّاكين.

الكتبة أو النَّساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراءً فاحشًا علىٰ حساب مدارسهم ومريديهم.

القراؤون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم، ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوىٰ حريتهم في شرح التوراة.

السامريون: طائفة من المتهوِّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، أثبتوا نبوة موسىٰ وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم. ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

◆ الفرع الرابع: الملل النصرانية.

١- تعريف النصرانية.

النصرانية: «هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت علىٰ عيسىٰ عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسىٰ عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلىٰ بني إسرائيل، داعية إلىٰ التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد علىٰ امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرًا عن أصولها الأولىٰ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية»[(١)].

٢- سبب تسميتها.

ذكر العلماء سبب تسمية هذه الملَّة بالنصرانية، فقالوا:

١-«سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَرْيَةٍ تُسَمَّىٰ«نَاصِرَةَ»، كَانَ يَنْزِلُهَا عِيسَىٰ عليه السلام فَنُسِبَ إِلَيْهَا،

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٥٦٤).

فَقِيلَ: عِيسَىٰ النَّاصِرِيُّ، فَلَمَّا نُسِبَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ قِيلَ النَّصَارَىٰ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَنَصْرَانُ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا النَّصَارَىٰ، وَيُقَالُ نَاصِرَةُ»[1].

وقيل «سُمُّوا بذلك انتسابا إلىٰ قرية يقال لها: نَصْرَان، فيقال: نَصْرَانِيٌّ، وجمْعُه نَصَارَىٰ»[2].

٢-وَقِيلَ: «سُمُّوا بِذَلِكَ لِنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»[3].

٣- وَقِيلَ: «سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]»[4].

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية إطلاق اسم (النصارىٰ) علىٰ الذين ينتسبون إلىٰ دين المسيح عليه السلام، ويلحظ من قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤]، أن النصارىٰ هم الذين أطلقوا هذا الإسلام علىٰ أنفسهم[5].

٣- أصل الملَّة النصرانية.

أصل النصرانية هو الإسلام، الدِّين المنزل من عند الله تعالىٰ، فقد بعث الله عز وجل عيسىٰ عليه السلام وأنزل معه الإنجيل، مصدقًا للتوراة ومصححًا ما حرفه اليهود من التوراة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٤).

(٢) المفردات، للراغب، مادة نصر.

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٣٤٣).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٣٤٣).

(٥) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه، د. أحمد عبد الله جود (ص:٤٥).

لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، «النصرانية تعتبر امتدادًا لليهودية، لأن عيسىٰ عليه السلام أُرسل إلىٰ بني إسرائيل مجدِّدًا في شريعة موسىٰ عليه السلام، ومصحِّحًا لما حرفه اليهود منها، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم»(١). قال تعالىٰ في حق عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥١].

لكن ما حدث بعد ذلك أن هذا الدين القائم علىٰ توحيد الله في أصله، غُيِّر وبُدِّل، وحُرِّفت نصوصه، وتعددت الأناجيل، وتحول الناس من التوحيد إلىٰ الشرك.

٤- أطوار النصرانية.

مرت الملَّة النصرانية بعدة أطوار ومراحل انتقلت فيها من رسالة التوحيد المنزلة من عند الله إلىٰ رسالة مُحرفة ومُبدلة.

المرحلة الأولىٰ: هي دين الله الحق، داعية إلىٰ توحيد الله تعالىٰ حيث لا رب غيره ولا معبود سواه، وأنه لا واسطة بين المخلوق والخالق سوىٰ عمل الإنسان نفسه. واستمرت مدة يسيرة بعد أن رفع الله جل جلاله لعيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء.

المرحلة الثانية: واستمرت قرابة نصف قرن، اشتد فيها إيذاء اليهود لأتباع المسيح عليه السلام، يطاردونهم ويقتلونهم، ويشون بهم عند الحكام.

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٥).

المرحلة الثالثة: فيها بدأت كتابة الأناجيل المبتدعة، وهي عبارة عن اجتهادات لم تُسمع من عيسىٰ ﷺ مشافهة، وبعضها من دسِّ اليهود. واستمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، عاشت خلالها النصرانية في تخبط وافتراق، «ففقدت النصرانية طابعها البسيط السهل، وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية وقتئذ؛ كالمصريين واليونانيين والرومانيين، خصوصًا ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه عبدًا رسولًا ...بينما يراه آخرون من النصارىٰ إلهًا، ورأىٰ فريق ثالث أنه ابن الله»[(١)].

المرحلة الرابعة: وتبدأ بالتجمع النصراني الكبير الذي عقده قسطنطين ملك الرومان في مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م، وفي هذا اللقاء رسخت عند النصارىٰ عقيدة التثليث الوثنية، وهو اعتقادهم أن الله ثالث ثلاثة؛ هم: الأب وهو الله بزعمهم، والابن وهو عيسىٰ كما يزعمون، وروح القدس ويتمثل في الروح التي حلت في مريم. ومن القرارات التي خرج بها المجمع؛ تكفير من يذهب إلىٰ أن المسيح إنسان[(٢)].

وبهذه الصورة صدرت النصرانية إلىٰ العالم ممسوخة مشوهة، فاقدة لشكلها وجوهرها الأساسي الذي جاء به عيسىٰ ﷺ من رب العالمين.

٥- ملل النصارىٰ

ملل النصارىٰ وفرقهم كثيرة، وقد ذكر الدكتور ضياء العمري أنه توجد في

(١) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٤٧).

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٩-٧١)، علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٤٦-٤٨). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٥٦٤-٥٧٩).

أمريكا وحدها أكثر من مئتين وخمسين فرقة مسيحية، وفي إفريقيا أكثر من ألف وأربعمائة طائفة(١).

وأهم طوائفهم(٢):

الملكانية: وهم يَقُولُونَ إِن اتِّحَاد الله تَعَالَىٰ بِعِيسَىٰ كَانَ بَاقِيًا حَالَة صلبه.

النسطورية: وهم يَقُولُونَ إن الله تعالىٰ واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة علىٰ الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسىٰ عليه السلام، لا علىٰ طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا علىٰ طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة علىٰ بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

اليعقوبية: وهم يَقُولُونَ إِن روح الْبَارِي اخْتَلَط ببدن عِيسَىٰ عليه السلام اخْتِلَاط المَاء بِاللَّبنِ.

الفرفوريوسية: وهم أَتبَاع فوفوريوس الفيلسوف وَقد أخرج أَكثر دين النَّصَارَىٰ علىٰ قَوَاعِد الفلسفة.

الأرمنوسية: يقولون أَن الله تَعَالَىٰ دَعَا عِيسَىٰ ابْنًا علىٰ سَبِيل التشريف.

و- علاقة الملَّة النصرانية بالملَّة اليهودية.

جاءت رسالة عيسىٰ عليه السلام امتدادًا لرسالة موسىٰ عليه السلام، لكن غالب بني إسرائيل

(١) اليهودية والمسيحية (ص:٤٦٤).

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ص:٨٤-٨٥). الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ٢٧-٣٣).

(اليهود) كذبوا بعيسىٰ عليه السلام، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه. «والنصارىٰ يكفرون اليهود لتكذيبهم عيسىٰ عليه السلام، واليهود يكفرون النصارىٰ، لأنهم يرونهم مبتدعين، ودينهم باطل لأن عيسىٰ عليه السلام بزعمهم ساحر كذاب»(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صدقوا ولو حلفوا علىٰ ذلك ما حنثوا، لأن كل فريق منهم ليس علىٰ شيء»(٢).

◆ ◆ ◆

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٦).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٨٥).

المطلب الثالث:
ملل من لا كتاب لهم

الفرع الأول: ملل الصابئة.

أول ملة من الملل التي لا كتاب لأهلها هي ملة الصابئة.

١-تعريفها.

صبأ في اللغة من معانيها: البروز، والانتقال، والترك، والميل.

جاء في المعجم الوسيط: «صبأ الناب وَنَحْوه صبوءًا برز، وَمن شَيْء إِلَىٰ شَيْء: انْتقل. وَيُقَال: صَبأ الرجل ترك دينه ودان بآخر وَعَلِيهِ خرج وهجم فَهُوَ صابئ»[١].

وعند الشهرستاني: «الصبوة في مقابلة الحنيفية. وفي اللغة: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم الصابئة»[٢]. وهذا المعنىٰ قريب من معنىٰ الانتقال والترك، لأن من انتقل وترك دينه إلىٰ دين آخر يقال له: مال وزاغ عن دينه الأول.

وورد ذكر الصابئة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، مما يدل علىٰ أنهم أهل ملة من الملل التي كانت قبل الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

(١) المعجم الوسيط / مادة صبأ.

(٢) الملل والنحل (٢/ ٦٣).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وقد اختلف العلماء في حقيقة دين الصابئة[(١)]:

فقال مجاهد: الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارىٰ، ولا دين لهم.

وقال قتادة: الصابئون قوم يعبدون الملائكة، يصلون إلىٰ القبلة، ويقرؤون الزبور.

وأبو العالية قال: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور. قال الإمام أبو جعفر الرازي: وبلغني أيضًا أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون إلىٰ القبلة.

وقال ابن زيد: الصابئون، أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله.

وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب.

فنرىٰ اختلاف المفسرين فيهم، هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ بسبب هذا الاختلاف عدَّهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل من الملل التي لها شبهة كتاب.

٢- معتقداتهم.

تطورت عقيدة الصابئة ومرت بمراحل، فذكر الإمام الرازي تطور عقيدتهم بقوله: «وَلما بعث الله إبراهيم عليه السلام كَانَ النَّاس علىٰ دين الصبائية؛ فاستدل إِبْرَاهِيم عليه السلام عَلَيْهِم فِي

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢/ ١٤٦-١٤٧).

حُدُوث الْكَوَاكِب، كَمَا حكىٰ الله تَعَالَىٰ عَنهُ فِي قَوْله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، وَاعْلَم أَن عبَادَة الْأَصْنَام أحدث من هَذَا الدِّين لأَنهم كَانُوا يعْبدُونَ النُّجُوم عِنْد ظُهُورهَا، وَلما أَرَادوا أَن يعبدوها عِنْد غُرُوبهَا لم يكن لَهُم بُدٌّ من أَن يصوروا الْكَوَاكِب صورًا ومثلًا، فصنعوا أصنامًا وَاشْتَغلُوا بعبادتها، فَظهر من هَهُنَا عبَادَة الْكَوَاكِب»[1].

هذا التطور العقدي أدىٰ إلىٰ ظهور فرق جديدة في ملة الصابئة، قال الشهرستاني: «ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار علىٰ الروحانيات البحتة، والتقرب إليها بأعيانها، والتلقي عنها بذواتها، فزعت جماعة إلىٰ هياكلها وهي السيارات السبع، وبعض الثوابت. فصابئة النبط والفرس والروم مفزعها السيارات، وصابئة الهند: مفزعها الثوابت... وربما نزلوا عن الهياكل إلىٰ الأشخاص التي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئًا. والفرقة الأولىٰ هم عبدة الكواكب، والثانية هم عبدة الأصنام»[2].

ومن معتقداتهم في الإله:

«يعتقدون –من حيث المبدأ– بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق.

ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله ٣٦٠ شخصًا خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار ...وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

ويعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها»[3].

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص:٩٠).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٣٦).

(٣) الموسوعة الميسرة (٢/ ٧١٧).

الفرع الثاني: ملل المجوسية.

١-تعريفهم.

«كلمة «مجوس» من الكلمات المعربة، عربت عن لفظة «مغوس» «Maghos» الفارسية التي تعني «عابد النار». وهي من الألفاظ التي دخلت إلىٰ اليونانية كذلك، حيث وردت لفظة «Magi» فيها. وهي جمع «مجوس» «Magus»»[١].

«المَجُوسُ: جَمْعُ المَجُوسيِّ، وَهُوَ مُعرب، أَصله: مِنْج قُوش، وَكَانَ رجلا صَغِير، الْأُذُنَيْنِ، كَانَ أول من دَان بدين المَجُوسِ، ودعا النَّاس إِلَيْهِ، فعرَّبته الْعَرَب. فَقَالَت: مَجُوسٌ، وَنزل الْقُرْآن بِهِ، وَالْعرب رُبمَا تركت صرف مَجُوس إِذا شُبِّه بقبيلة من الْقَبَائِل، وَذَلِكَ أَنه اجْتمع فِيهِ العجمة والتأنيث»[٢].

وفي المعجم الوسيط: «الْمَجُوسِي الكاهن عِنْد الأشوريين وقدامىٰ الفرس والكاهن الذي يقوم علىٰ النَّار، والكاهن الَّذِي يُبَاشر أَعمال السحر»[٣].

٢-معتقداتهم.

وحقيقة المجوسية «مبني علىٰ تعظيم النور، وإثبات إله قديم يسمىٰ «يزدان»، وعلىٰ التحرز من الظلمة، التي قالوا بخلق إله محدث لها يسمىٰ «أهرمن»، ومن هنا نشأت عبادة النيران عندهم، لأنهم لما عظموا النور عبدوا النار مصدره»[٤].

وقال الشهرستاني: «ثم إن التثنية اختصت بالمجوس، حتىٰ أثبتوا أصلين اثنين،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٢/ ٢٦٨).

(٢) تهذيب اللغة / أبواب الجيم والسين.

(٣) المعجم الوسيط / باب الميم.

(٤) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٢).

مدبرين قديمين؛ يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة. وبالفارسية: يزدان وأهرمن. ولهم في ذلك تفصيل مذهب.

ومسائل المجوس كلها تدور علىٰ قاعدتين اثنتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأً، والخلاص معادًا»[(١)].

وقال ابن حزم: «وَالْمَجُوس يعظمون الْأَنْوَار والنيران والمياه إِلَّا أَنهم يُقِرون بنبوة زرادشت وَلَهُم شرائع يضيفونها إِلَيْهِ»[(٢)].

فيتبين من خلال ما سبق أن المجوسية يعظمون النور والظلمة، لكنهم لا يجعلونها متساوية بالخلق والإبداع والتصرف، بل يجعلون النور حاكمًا علىٰ الظلمة.

٣-المجوسية في جزيرة العرب.

الموطن الأصلي للمجوسية هو بلاد فارس، ثم تفرقت إلىٰ فرق عديدة تجمعهم التثنية، ثم دخلت إلىٰ بلاد العرب، فظهرت أول ما ظهرت في الحيرة ثم ترسخت في بني تميم وبعدها انتقلت إلىٰ اليمن، وعمان، والبحرين، واليمامة[(٣)].

فظهرت فكرة تقديس النار وتعظيمها، «فقد ذكر أهل الأخبار أن العرب كانت في الجاهلية الأولىٰ، إذا احتبس عنهم المطر، ويئسوا من نزوله، يجمعون

(١) الملل والنحل (٢/ ٣٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (١/ ٨٧).

(٣) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٣-٦٤).

البقر ويعقدون في أذنابها وعراقبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر»(١).

وبذلك ظهر تأثير الديانة المجوسية علىٰ بعض مناطق العرب التي بعث فيها النبي ﷺ.

الفرع الثالث: ملل المشركين.

والمشركون هم الصنف السادس من أهل الملل الذين ذكرهم الله تعالىٰ في سورة الحج، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وقد عدَّهم القرآن الكريم قسمًا خاصًّا، ولكن هذا لا يعني أن غيرهم من أهل الملل الباطلة ليسوا بمشركين. بل كلهم مشركون بالله تعالىٰ.

١-تعريفهم.

وهم الذين عبدوا مع الله ﷻ إلهًا آخر، قال الآلوسي: «وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا المشهور أنهم عبدة الأوثان، وقيل: ما يعمهم وسائر من عبد مع الله تعالىٰ إلهًا آخر من ملك وكوكب وغيرهما ممن لم يشتهر باسم خاص كالصابئة والمجوس»(٢).

٢-الوثنية عند العرب.

دخلت الوثنية بلاد العرب عبر عمرو بن لحي الخزاعي، الذي خرج إلىٰ الشام فوجدهم يعبدون الأصنام، فأخذ منهم صنمًا ونصبه إلىٰ الكعبة(٣).

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢/ ٢٧٢).

(٢) تفسير الآلوسي (٩/ ١٢٤).

(٣) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٤٩).

فانتشرت عبادة الأصنام في بلاد العرب، «فعبدوا «هبل» في جوف الكعبة، وودًّا بدومة الجندل، واللات بالطائف، والعزىٰ بوادي النخلة، ومناة بالمشلل من قديد، وسواع في ينبع. كما كان منهم من عبدوا الملائكة أو الجن، وأنكروا الرسل والرسالات والبعث والنشور»(١).

«ولم تقتصر ديانات العرب علىٰ الوثنيات العربية وحدها، بل اعتنق العرب ديانات أخرىٰ كالمجوسية، واليهودية، والمسيحية»(٢).

أمام هذا الوضع بعث الله ﷻ محمدًّا ﷺ للبشرية، ليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والخرافة إلىٰ نور الهداية والتوحيد، ومن عبادة المخلوقات إلىٰ عبادة الخالق ﷻ.

◆ خلاصة القول في هذا الفصل.

إن الملل كما بينها القرآن الكريم والحديث الشريف أقسام؛

فالقسم الأول: هو ملة الحق، وهي الحنيفية التي هي الإسلام، الذي جاء بها جميع الأنبياء والرسل، وعبَّر عنها القرآن الكريم والسنة الشريفة بملَّة إبراهيم.

أما القسم الثاني من الملل: فهو الملل الباطلة، ويدخل فيها كل ملَّة خالفت ملَّة الحق وانحرفت عن منهج الله ووحيِه ورسله. وأبرز هذه الملل؛ ملل أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارىٰ، وملل من لا كتاب لهم، وهم الصابئة والمجوس والمشركين.

والقاسم المشترك بينهم أنهم زاغوا عن منهج الله ووحيه، واتبعوا أهواءهم فضلَّوا عن الإسلام، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا يطعن بعضهم في بعض ويكفر بعضهم بعضًا.

---

(١) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٦).

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور (٣/ ٢٠).

الخاتمة

درس هذا البحث «مصطلح الملَّة في القرآن الكريم» وبين أنواعها وخلص إلىٰ نتائج أهمها:

أولًا: يرجع أصل الملَّة في اللغة إلىٰ معنىٰ الطريقة والاتباع والالتزام.

ثانيًا: حضور مصطلح الملَّة في القرآن الكريم معتبر ومنتشر في السور المكية والمدنية، مما يدل علىٰ كونه حاملًا لمفهوم أساسي في حياة الأمة.

ثالثًا: الملَّة قسمان كبيران؛ ملَّة الحق وهي ملَّة الإسلام. وملل الباطل وهي ملل الكفر.

رابعًا: عبَّر القرآن الكريم عن ملَّة الحق، بضميمة (ملة إبراهيم)، حيث لم ترد في القرآن الكريم إلا بذلك، وقد أفادت الدراسة بأمر الله تعالىٰ باتباعها، حيث أفادت صفاتها أنها أحسن الدين، والدين القيم، والصراط المستقيم، ملَّة سمحة ليس فيها حرج ولا تضييق.

خامسًا: الملل الباطلة جاءت مضافة للأقوام الكافرة؛ لأنها نتاج أهوائهم وتقليدهم لآبائهم، فناسب أن تضاف إليهم. وأبرز هذه الملل ملل أهل الكتاب وهم اليهود والنصارىٰ، وملل من لا كتاب لهم وهم الصابئة والمجوس والمشركين.

وقد حذر الله منها وأمر بتركها وبيَّن سوء عاقبتها، لأنها ملل تفتري الكذب علىٰ الله تعالىٰ، غارقة في الكفر، لا سند لمنتسبيها إلا اتباع الأهواء وتقليد ما كان

يعبده الآباء والأجداد دون علم، نتيجة اتباعها الخسارة وعدم الفلاح.

إلا أن البحث يبقىٰ مفتوحًا علىٰ دراسة قضايا أخرىٰ، لأن القضايا المرتبطة بالمفاهيم القرآنية من شأنها التعدد والتنوع من مثل:

-البحث في الدعائم التي تقوم عليها ملة الحق من خلال دراسة أعمق وأشمل للنصوص القرآنية والحديثية.

-البحث في وسائل أكثر نجاعة في كيفية جعل الأمة الإسلامية أمة مرتبطة بالملَّة الإبراهيمية اعتقادًا وعملًا، ورصد مواطن الخلل في تديُّن الناس من أجل تقديم حلول تمكِّن علاجه.

-البحث في كيفية الاستفادة من منهج سيدنا إبراهيم عليه السلام في التفكير والاستدلال لتوظيفه في واقعنا الحالي، دفاعًا عن الإسلام وردًّا لشبهات من يكيد للإسلام والمسلمين بالسوء. فملَّة إبراهيم أساس دعوة البشرية كافة إلىٰ الدِّين الحق، فكيف نؤسس لذلك عمليًّا في عالمنا المعاصر؟

-دراسة ملل الباطل في زماننا وظروف نشأتها وسبل التعامل معها.

والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. مراجعة وتحرير: علي سامي النشار. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

٣- البداية والنهاية. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: علي شيري. ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن. شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦- الديانات والعقائد في مختلف العصور. أحمد عبد الغفور عطار. ط١، بيروت: طبع بإشراف دار الأندلس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧- الرسل والرسالات. عمر سليمان بن عبد الله الأشقر. ط٤، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٨- العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن

حجر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

١٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة. ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية. د. أحمد الريسوني. تقديم د. محمد الروكي. ط١، القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.

١٢- الكليات. أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري. د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٤- المستصفىٰ. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت

١٦- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفىٰ/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار). د.ط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

١٧- المغني. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. د.ط، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٨- المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

١٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الدكتور جواد علي. ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٠- الملل والنحل. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل. د.ط، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٢١- الموافقات. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٢- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ عرض نقدي وتاريخي ميسر. ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل. ط١، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٢٤- بحر العلوم. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، الملقب بإمام الهدى. تحقيق محمود مطرجي. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٥- بنو إسرائيل في الكتاب والسنة. د. محمد سيد الطنطاوي. ط٢، القاهرة: دار الشروق الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٦- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

٢٧- تهذيب اللغة. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. ابن عرفة، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي. د.ط، دار الفكر، د.ت.

٣٠- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣١- سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٢- علم الملل ومناهج العلماء فيه. د. أحمد بن عبد الله جود. إشراف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل. ط١، الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣٣- لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقي. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣٤- معاني القرآن وإعرابه. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٥- معجم مقاييس اللغة. الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. تحقيق عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٦- موسوعة الملل والأديان. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف. الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

٣٧- نظرات في المصطلح والمنهج. د. الشاهد البوشيخي. سلسة دراسات مصطلحية: ٢. ، ط٣، د.ن، يونيو ٢٠٠٤م.

References and Sources

1) The Holy Quran.

2) Beliefs of Muslim and Polytheists, Fakhr al-Din Al Razi, Review and Editing by Ali Sami Al-Nashar, Dar al-Serami- Beirut, 1402 Ah / 1982 AD.

3) Beginning and End, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Kabir al-Qurashi al-Basri and then Damascene (deceased: 774 Ah), Investigation: Ali Sherry, House of Revival of Arab Heritage, Edition: First 1408, E- 1988 AD.

4) The mosque of Al-Masnad, the correct acronym for the affairs of the Messenger of God, peace be upon him, his age and his days, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Jaafi, investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser al-Nasser, Dar Al-Tuq al-Najat (pictured on the Bowl with the addition of numbering Muhammad Fouad Abdel Baki), Edition: 1, 1422 Ah.

5) The Mosque of the Provisions of the Qur'an, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji Shamseddine al-Qartabi (deceased: 671 Ah), Investigation: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Attish, Egyptian Book House - Cairo, Edition: II, 1384 Ah - 1964 AD.

6) Religions and beliefs of various times, Ahmed Abdel Ghafoor Attar, printed under the supervision of Dar Al-Andalus - Beirut - Edition: First 1401 Ah / 1981 AD.

7) Apostles and Letters, Omar Suleiman bin Abdullah al-Ashkar, Al-Falah Library, Kuwait, Edition: 4th, 1410 Ah- 1989 AD.

8) Al Ain, Abu Abdul Rahman al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim al-Farahidi al-Basri (deceased: 170 Ah), Investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar and Library of the Crescent.

9) Chapter in Boredom, Whims and Bees, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm al-Andalusi Al-Qartabi Al-Dhaheri (deceased: 456 Ah), Investigation: Mohamed Ibrahim Nasr, Abdul Rahman Amira, Dar al-Jil - Beirut, Edition: II, 1416 Ah / 1996 AD.

10) Basic Colleges of Islamic Law, Dr. Ahmed Al Raisoni, Presented by Dr. Mohammed Al-Roki, Al-Qahma Publishing and Distribution House - Cairo, Edition: 1st 1434 Ah / 2012 AD.

11) Colleges, Ayoub bin Musa al-Husseini al-Quraimi Al-Kfoury, Abu al-Aqia al-Hanafi (deceased: 1094 Ah), investigation: Adnan Darwish- Mohammed al-Masri, Al-Resala Foundation - Beirut.

12) The brief editor in the interpretation of the book Aziz, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghaleb bin Abdul Rahman bin Tammam bin Tammam bin Attia al-Andalusi al-Ma'adiri (deceased: 542 Ah), investigation: Abdessalam Abdul Shafi Mohammed, Dar al-Suri al-Suri , Beirut, Edition: 1st - 1422 Ah.

13) Al-Mustafi, Abu Hamed Mohammed bin Mohammed al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 Ah), Investigation: Mohammed Abdul Salam Abdul Shafi, Dar al-Sali, Edition: First, 1413 Ah - 1993 A.D.

14) The correct and brief assigned to the transfer of justice from justice to the Messenger of God, Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hassan al-Qasiri al-Nisaburi (deceased: 261 Ah), investigation: Mohammed Fouad Abdel Baki, House of Revival of Arab Heritage - Beirut.

15) Intermediate Dictionary, Cairo Arabic Language Complex (Ibrahim Mustafa / Ahmed Al Zayat / Hamed Abdel Kader / Mohammed Al Najjar), Al Shorouk International Library, 2004.

16) The singer of Ibn Imama, Abu Mohammed Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmed bin Mohammed bin Imama al-Qaddali al-Maqdisi and then Damascene Al-Hambali, famous for ibn Imama al-Maqdisi (deceased: 620 Ah), Cairo Library, without edition, publication date: 1388 Ah - 1968 AD.

17) Vocabulary in the Strange Qur'an, Abu al-Qasim al-Hussein bin Mohammed, known as Ragheb Al-Isfahani (deceased: 502 Ah), Investigation: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar al-Qalam, Dar al-Shamiya - Damascus Beirut, Edition: 1st - 1412 Ah.

18) Detailed in the history of pre-Islamic Arabs, Dr. Jawad Ali (deceased: 1408 Ah), Publisher: Dar al-Saki, Edition: 4th 1422 Ah / 2001 AD.

19) Boredom and Bees, Abu al-Fath Mohammed bin Abdul Karim bin Abi Bakr Ahmed Al-Shahristani (deceased: 548 Ah), Investigation: Abdul Aziz

Mohammed Al-Wakil, Al-Halabi & Co., Cairo, 1387 Ah- 1968 A.D.

20) Approvals, Ibrahim bin Musa bin Mohammed al-Lakhmi Al-Gharnati, famous for his shatabi (deceased: 790 Ah), Investigation: Abu Obeida Mashhour bin Hassan Al Salman, Dar Ibn Afan, Edition: 1st 1417 Ah/ 1997.

21) Summary in contemporary religions and doctrines; critical and historical presentation messer, Nasser bin Abdullah al-Qafari and Nasser bin Abdul Karim al-Akl, Al-Sama'i Publishing and Distribution House - Riyadh, Edition: First, 1413 Ah - 1992 AD.

22) The Easy Encyclopedia of Religions, Sects and Contemporary Parties, Preparation of the International Symposium on Islamic Youth, Supervision, Planning and Review: Dr. Manaa Bin Hammad Al-Jahni, Publisher: World Symposium House for Printing, Publishing and Distribution, Edition: 4th, 1420 Ah.

23) Bahr al-Uloom, Abu al-Laith, Nasr bin Mohammed bin Ahmed, Al-Samarqandi, alias Imam al-Huda, Investigation of Mahmoud Matarji, Dar al-Thought - Beirut, Edition: 1418 Ah - 1997 AD.

24) The Sons of Israel in the Book and the Sunnah, Dr. Mohammed Sayed Al-Tanawi, Dar Al-Shorouk I, Cairo, Edition: 2nd, 1420 Ah - 2000 AD.

25) Editing the good meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the glorious book, Mohamed Taher ben Mohamed ben Mohamed Ben Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 Ah), Tunisian Publishing House - Tunisia, 1984 Ah. Alusi Interpretation

26) The Refinement of the Language, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harwi, Abu Mansour (deceased: 370 Ah), Investigation: Mohammed Awad Mareeb, Arab Heritage Revival House - Beirut, First Edition, 2001.

27) Al-Bayan Mosque in the interpretation of the Qur'an, Muhammad bin Greer bin Yazid bin Kabir bin Ghaleb al-Ameli, Abu Jaafar al-Tabari (deceased: 310 Ah), investigation: Ahmed Mohammed Shaker, Foundation of the Letter, Edition: First, 1420 Ah - 2000 AD.

28) Al-Desouki's footnote to the great commentary, Muhammad bin Ahmed bin Arafa al-Desouki al-Maliki (deceased: 1230 Ah), Dar al-Fikr, without edition and without history.

29) Studies in Judaism, Christianity and Indian Religions, Mohammed Ziaur Rahman Al-Adhami, Library of Majority - Riyadh, Edition: 2nd, 1424 Ah / 2003 AD.

30) Sinan Abi Daoud, Abu Daoud Suleiman bin Al-Sha'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr al-Azdi al-Sajstani (deceased: 275 Ah), Investigation: Shoaib al-Arnaout - Mohammed Kamel Qara Balali, Dar al-Resala Al-Aly, Edition: 1, 1430 Ah - 2009 AD.

31) The Science of Boredom and the Curricula of Scholars in it, Dr. Ahmed bin Abdullah Jude, Supervision: Dr. Nasser bin Abdul Karim al-Akl, Dar al-Fadhila - Riyadh, Edition: First, 1425 Ah - 2005 AD.

32) Al-Arab, Mohammed bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din, son of The Perspective of Al-Ansari al-Ruweifi al-Africa (deceased: 711 Ah), Dar Sader- Beirut, Edition: 3rd - 1414 Ah.

33) Meanings and expressions of the Qur'an, Ibrahim ibn al-Serri bin Sahl, Abu Ishaq al-Glass (deceased: 311 Ah), Investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, Book World - Beirut, Edition: First 1408 Ah - 1988 AD.

34) Dictionary of Language Standards, Ahmed bin Fares bin Zakaria al-Qazwaini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 Ah), Investigation of Abdessalam Mohammed Haroun, Dar al-Fikr, 1399 Ah - 1979 AD.

35) Encyclopedia of Boredom and Religions, a group of researchers under the supervision of Sheikh Alawi bin Abdul Qadir Al-Saqqaf, publisher: The Sunni Al-Darr website dorar.net, downloaded in the first spring of 1433 Ah.

36) Looks at the term and approach, Dr. Al-Shahid Al-Bushkhi, Series of Terminology Studies: 2, Third Edition: June 2004.